يسبح ا تعالى كما نطقت الآية به ولا يسبح إلا حي عاقل عالم عارف بمسبحه وقد رود أن المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب ويابس والشرائع والنبوات مشحونة بما هو من هذا القبيل ونحن زدنا مع الإيمان بالأخبار الكشف إلى آخر ما قال .

واستدل بعضهم في هذا المقام بما روي عن النبي أنه قال في دعائه للحمى : يا أم ملدم إن كنت آمنت با تعالى فلا تأكلي اللحم ولا تشربي الدم ولا تفوري من الفم وانتقلي إلى من يزعم أن مع ا تعالى آلهة أخرى فإني أشهد أن لا إله إلا ا وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وجاء عن السجاد رضي ا تعالى عنه في الصحيفة في مخاطبة القمر ما هو ظاهر في أنه له شعورا واستفاض عن عمر رضي ا تعالى عنه أنه كتب للنيل كتابا يخاطبه فيه بما يخاطبه وضرب الأرض بالدرة حين تزلزلت وقال لها : إني أعدل عليك وكم وكم في الأخبار نحو ذلك قيل ولا داعي لتأويلها إذ لا أحد يقول : إن شعور الجمادات كشعور الحيوانات الظاهرة بحيث يدركه كل أحد حتى يكون العمل بظاهر اللفظ خلاف حس العقلاء فيجب ارتكاب التأويل والتجوز ومن علم عظم قدرة ا D وأنه سبحانه لا يعجزه شيء وأن المخلوقين على اختلاف مراتبهم لا سيما المنغمسين في أحوال العلائق والعوائق الدنيوية والمسجونين في سجين الطبيعة الدنية لم يقفوا على عشر العشر مما أودع في عالم الإمكان ونقش بيد الحكمة على برود الأعيان سلم ما جاء به الصادق E وإن خالف ما عنده نسب القصور إلى نفسه فرب فكر يظنه المرء حقا وهو من الأوهام كما لا يخفى على من أنصف ولم يتعسف .

وعلى هذا الذي ذكروه لا تحتاج إعادة ضمير ذوي العلم في تسبيحهم على ما تقدم إلى توجيه وتفصي آخر عن الأول بأن قوله تعالى إنه كان حليما غفورا متعلق بقوله سبحانه سبحانه وتعالى عما يقولون ولا يخفى ما في هذا التفصي ولعل الأولى فيه أن يلتزم حمل التسبيح على ما هو الأعم من الحالي والقالي ويثبت كلا النوعين بكل شيء والتذييل باعتبار القصور في فقه الحالي لا باعتبار القصور في فقه الآخر ويشكل أيضا أن من أفراد من نسب إليه التسبيح الجحد فضلا عن الساكت فالحمل على المجاز واجب وأجيب بأن استثناء أولئك معلوم بقرينة السباق واللحاق وزعم من زعم أن الجاحد مقدس أيضا وأنشدوا للحلاج جحودي لك تقديس وعقلي فيك منهوس فما آدم الاك وما في الكون إبليس وأنت تعلم أم مثل هذا الحلج والندف صار سببا لما لاقى من الحتف فماذا عسى أقول سوى حسبنا ا ونعم الوكيل وقريء لا يفقهون على صيغة المبني للمفعول من باب التفعيل وإذا قرأت القرآن الناطق بالتسبيح والتزيه ودعوتهم إلى العمل بما فيه جعلنا بقدرتنا ومشيئتنا المبنية على الحكم الخفية .

بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم المشركون المتقدم ذكرهم وأوثر الموصول على الضمير ذما لهم بما في حين الصلة ويتم به مع ما سبق الإشارة إلى كفرهم بالمبدأ والمعاد .

وفي إرشاد العقل السليم إنما خص بالذكر كفرهم بالآخرة من بين سائر ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على أنها معظم ما أمروا بالإيمان به في القرآن وتمهيدا لما سينقل عنهم من إنكار البعث واستعجاله ونحو ذلك ا ه وفي كون الآخرة معظم ما أمروا بالإيمان به في القرءان ترددو ربما يدعي أن ذلك هو التوحيد فالأولى